نحو النص وصلته بالدراسات النحوية والبلاغية القديمة

م. د. علياء عبدالزهرة مهدي*

المُقَدِّمة

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على المبعوث رحمةً للعالمين ، محمدٍ الصادق الأمين، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

لا شكَّ في أنَّ الدراسات اللسانية والنصيّة تحظى بعنايةٍ واسعةٍ في الدرس اللغويّ الحديث، وتمتزج فيها الدراسات النقديّة باللغويّة لتختطَّ منهجاً جديداً في الدراسة، والتحليل يعتمد على استثمار طاقات اللغة وإمكاناتها في رصد عوامل الإبداع في نصوصها المختلفة.

مصطلح نحو النص هو من المصطلحات الحديثة التي تدخل في إطار الدراسات اللسانية النصية، وإنَّ توقف البحث عند هذا المصطلح وصلته بالدراسات البلاغية القديمة يعدُّ خطوة من خطوات الفهم الموضوعي لأثر التراث في تطور الدراسات الحديثة.

قد قُسِّم البحث على قسمين: جاءَ القسم الأول للتعريف بمفهوم نحو النص، أمّا القسم الثاني فقد بيّن صلة نحو النَّص بالدراسات النحوية والبلاغية القديمة، وقد قدَّم البحث خلاصة مركّزة لكلا الجانبين .

ختاماً، أرجو أن تفتح هذه الوقفة السريعة أمام (نحو النص) المجالَ للباحثين في سبر أغوار هذا الموضوع بشكلٍ مفصَّلٍ في بحوثٍ موسَّعة إن شاء الله – تعالى– وآخرُ دعوانا "أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين".

* جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات

أوَّلًا- التعريف بمفهوم نحو النص

مصطلح نحو النص هو مصطلح حديث نشأ في حضن اللسانيات النصيّة التي تعدُّ "حلقة من حلقات التطور الموضوعي والمنهجي في اللسانيات الحديثة "(١).

قد نشأ نحو النص انطلاقا من دراسة النصوص و وتحليلها، واعتمادا على مجموعة من الأسس والمبادئ التي وضعها نحو الجملة في ما سبق ، فضلاً عن الأسس التي جاءت بها اللسانيات النصية التي نشأت في ظل النحو التوليدي الذي أسهم بشكل غير مباشر في الانتقال من بنية الجملة إلى البحث المنظم في العلاقات بين الجمل في بنية أكبر هي النص(٢)؛ إذ تم الكشف عن الروابط بين دراسة النحو ودراسة المعنى من لغويي (براغ)، وذلك بتركيزهم على المنظور الوظيفي للجملة وهو منظور يدرس الصلة بين جملتين أو أكثر(٣)،وعلى هذا الأساس، فإنَّ مصطلح (نحو النص) "من المصطلحات التي حدَّدت لنفسها هدفاً واحداً هو الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية ،وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النصي "(٤) .

هذا المصطلح هو تعبيرٌ جديدٌ أُطلِق على ميدانٍ من البحث غايته فهم أوجه الترابط النحوي المتجاوزة للجملة الواحدة إلى سلسلة تؤلف نصا محددا؛ فمن الطبيعي أن ترتبط هذه الجمل بروابط توفر للنص تماسكه الشكلي والمعنوي؛

---

[١] نعمان بو قرة . المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، د.ط، عالم الكتب الحديث .عمان ، ٢٠٠٩م : ٩.

[٢] ظ :المرجع نفسه والصفحة .

[٣] ظ : إبراهيم محمود . في اللسانيات ونحو النص .الطبعة الثانية، دار المسيرة .عمان،٢٠٠٩ م :١٨٦.

[٤] أحمد عفيفي . نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق . القاهرة . ٢٠٠١م :٣١.

أي إنه نمط من التحليل يمتدُّ تأثيره إلى ما وراء الجملة، فيسعى لتوضيح علاقة الجمل ببعضها في إطار وحدة أكبر هي النص (٥).

قد جاء نحو النص تطويراً لبحوث لغوية مكثَّفة قامت بها المدارس اللغوية الأوربية والأمريكية لمدّة طويلة (٦)، وذلك عندما حصل نوع من الإجماع على ضرورة التغيير في منهجية لا تُغفِل الجملة ،...بل تنظر إليها من زاوية علاقتها ببقية الجمل الأخرى المكوِّنة للنص فضلا عن علاقتها بالسياق الذي أنتجت فيه، وبمنتجها، ومستقبلها(٧).

وبهذا، يتضح أنَّ قواعد نحو النص لا تغضُّ النظر عن النحو التقليدي، وعن قواعد بناء الجملة؛ لأنَّ الأخير أشبه بمجموعة من القرائن والمعطيات التي يستعملها نحو النص للكشف عن البنية الكبرى التي تتعدّى الجملة الواحدة (٨).

فنحو النص هو نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة، تمتدُّ قدرتها التحليلية إلى ما وراء الجملة، فضلاً عن فحصها لعلاقة المكوِّنات التركيبية داخل الجملة (٩).

ويعرِّفه أحد الباحثين بشكل دقيق بأنّه: ذلك الفرع من علم النص الذي يصف وسائل التعبير المسؤولة عن عملية تشكيل النص، فهو يقتصر على الوسائل اللغوية المتحققة نصيّا والعلاقات بينها (١٠).

---

٥ ظ: إبراهيم محمود خليل , في اللسانيات ونحو النص : ٢١٥.

٦ ظ: أحمد عفيفي ,نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ١٠.

٧ ظ: نعمان بو قرة , المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب :١٤٠.

٨ ظ: إبراهيم محمود خليل ,في اللسانيات ونحو النص : ٢١٦-٢١٧.

٩ ظ: سعيد حسن بحيري ,علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ,الطبعة الأولى، مؤسسة المختار , القاهرة , ٢٠٠٤م : ١٣١.

١٠ ظ: زتسيسلاف واورزنياك, مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص) , ترجمة د. سعيد حسن بحيري, الطبعة الأولى، مؤسسة المختار ,القاهر , ٢٠٠٣م : ٦٠.

يرى البحث أن نحو النص هو مزيج من القواعد النحوية التي تدرس الجملة، ومعاني النحو التي هي قواعد ذات طابع تحليلي للنصوص تمتد من الجملة إلى ما يجاورها لتدرس العلائق المكوِّنة للنصوص.

ثانيًا: نحو النص وصلته بالدراسات النحوية والبلاغية القديمة

لا شكَّ في أنَّ نحو النص قائم على القواعد النحوية الأصلية التي تأسست في النحو التقليدي ،أو ما يعرف بنحو الجملة؛ فـ"هناك تداخل كبير بين نحو الجملة ونحو النص في بعض المفاهيم والتطبيقات ،فهذه السمات التي قيل إنَّ نحو النص يستقل بها إنما اشترك بعضها مع نحو الجملة ،وعلى سبيل المثال هذا المعيار (المقاميّة)، أو رعاية الموقف والقصد ...،فنماذج نحو الجملة التي ترعى المقام كثيرة ، وليس ذلك متوقفا على نحو النص ،ولعلّنا نذكر الحذف في نحو الجملة ،وأنّه لا بدَّ أن يكون هناك دليل على المحذوف من خلال المقام أو السياق ،وأنّ تحديد أنواع "أل"على مستوى الكلمة داخل الجملة إنما يعتمد على العهد الذهني ،وفي ذلك ارتباط كبير بالاعتماد على المعارف السابقة، ومن هنا، نرى أن بعض المعايير والصفات التي استقل بها نحو النص -كما قيل- قد أخذ بها نحو الجملة من قبل"(١١) .

لقد تحدث النحاة عن علاقة المقال بالمقام ،وعن معاني النحو ،والعلائق، والقرائن، وصور الإسناد والاستبدال ،وتطابق الأركان في الجنس والعدد والزمن، وغيرها من القضايا التي تتجاوز العناية بالجملة الواحدة إلى سياقها النصِّيّ(١٢).

---

[11] أحمد عفيفي. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ١٣١.

[12] إبراهيم محمود خليل . في اللسانيات ونحو النص : ٢١٦- ٢١٧.

وتحدث سيبويه في كتابه في باب: (الاستقامة من الكلام والإحالة) عن وسائل الاستمرار الدلاليّ، والترابط المفهوميّ، وهو ما يُعرَفُ حديثا بالاتساق في النص (١٣) .

قدّمت الدراسات النحويّة التقليديّة تحليلات مُهمّة لبعض الجوانب الخاصة بالعلاقات بين أجزاء الجملة والمتواليات الجملية وشروط الفصل والوصل، ومعاني الأساليب وأشكال السياقات والدلالات الخاصة؛ لذا فإنَّ الظواهر التي عولجت في إطار نحو النص كانت محوراً لكثيرٍ من البحوث النحوية السابقة (١٤).

وممّا يؤسف له أنَّ النحو العربي لم يتعمّق في دراسة هذه المباحث، على الرغم من أنَّه هو المعنيّ بدراسة المعنى، لكنّ الذي حدث أنَّ النحاة شغلوا عن ذلك بالعوامل وأثرها في الحركة الإعرابية [١٥]، فكان أن التفتت البلاغة العربية إلى معاني النحو وصارت جزءاً لا يتجزأ من مباحثها .

فقد قدمت البلاغة العربية تحليلاتٍ مهمّة ولا سيما في علم المعاني الذي يدرس الأساليب الفاعلة في التركيب ، وطرائق صياغة العبارات، وقدَّم لنا عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) بحثاً منظماً في العلائق التي تربط الجملة بالأخرى ،متجاوزا مهمة النحو التقليدي التي تقوم -غالباً-على دراسة الجملة مستقلة عن الجمل الأخرى، ومفصولةً عن الوظائف الاتصالية للكلام المطرد ،وقد تطرَّق إلى قواعد التماسك النحويّ ،ومنها العطف ،والإحالة ،والتقديم ،والربط بلام التعريف، والاسم الموصول ،والتكرار، والحذف ،والاستئناف، وهي

---

[١٣] ظ: سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان ت(١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م: ١/٢٥-٢٦.

[١٤] ظ: سعيد حسن بحيري ,علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١١٨-١١٩.

[١٥] ظ: مصطفى جمال الدين , البحث النحوي عند الأصوليين , منشورات وزارة الثقافة والإعلام , العراق, ١٩٨٠: ٩-١٠.

قواعد أشار إليها المحدثون، و منهم رقية حسن وهاليداي، وفان ديك وغيرهم من اللغويين (١٦) ، يقول الجرجانيّ في هذا السياق : " وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من الوصل ، ...ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كلِّه .وفي الحذف، والتكرار، والإضمار، والإظهار ، فيضع كلاً من ذلك مكانه ، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي"[١٧].

ويرى الدارسون أنَّ (الجرجاني) في كتابه (دلائل الإعجاز) قد وقف عند كثيرٍ من القضايا التي جاء بها نحو النص الحديث فقد أدرك الجرجاني طبيعة علم النحو، ولعلّه قدَّمَ في كتابه نظرية جديدة قائمة على أثر معاني النحو في فهم التركيب (١٨).

إنَّ نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني نظرت إلى النحو" نظرة خاصة ومتطورة ،تتعدى حدوده التعريفية وعلاماته الإعرابية إلى خصائصه الفنية "(١٩)؛ فعبد القاهر الجرجاني "كان رائدا في الكشف عن القواعد التي تؤدي إلى تماسك النصوص وتعلُّق الجمل بعضها ببعض" (٢٠) ، وآراؤه تعد تمهيداً مبكراً لما عرف اليوم بالتماسك النصّي؛ فقد تطرَّق لهذه المباحث عندما نظر إلى الكلام نظرة شمولية على وفق مقتضيات الاتصال والسياق، وهذا يتفق مع قواعد نحو النص التي توجِّه العناية من البنية الصغرى (الجملة)إلى البنية الكبرى

---

[١٦] إبراهيم محمود , في اللسانيات ونحو النص :٢٣٦.

[١٧] الجرجاني , عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت٤٧١هـ) , دلائل الإعجاز , صحح أصله: محمد عبده , علَّق حواشيه : محمد رشيد رضا ,د.ط، دار المعرفة, بيروت, لبنان , ١٩٧٨م : ٦٤-٦٥.

[١٨] ظ: عمر أبو خرمة , نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، الطبعة الأولى، عالم الكتب الحديث ,الأردن,٢٠٠٤م : ٤١-٤٤.

[١٩] محمد حسين علي الصغير ,علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي، الطبعة الأولى، دار المؤرخ العربي , بيروت ,لبنان,١٩٩٩م : ١٩٨.

[٢٠] إبراهيم محمود ,في اللسانيات ونحو النص : ٢٣٦.

(النص)[٢١]، يقول الجرجاني :"واعلم أنَّ مما هو أصلٌ في أن يدقق النظر ويغمض المسلك في توخّي المعاني التي عرفتَ أن تتَّحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ، ويشتدَّ ارتباط ثانٍ بأوَّل ،وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً " [٢٢] .

ونجد في كتب إعجاز القرآن الكريم بشكل عام ما يدلُّ على أنَّ تطبيقات نحو النص قد وجدت عند الباحثين في الإعجاز القرآني من خلال دراستهم سبك النص القرآنيّ، وتلاحم أجزائه [٢٣].

وبهذا، يتضح أنَّ الدراسات البلاغية قدَّمت تحليلاتٍ مبكرة لنحو النص، ونجد مثل هذه الإشارات لدى المفسِّرين أيضاً، فضلاً عن بعض الإشارات في الدراسات النحوية التي لم تكن بمنأى عن المنهج النصيّ في بوادرها الأولى [٢٤].

الخاتمة

يتضح ممّا سبق أنَّ نحو النص هو العلم الذي يدرس بنية النص في إطار العلاقات التركيبية بين الجمل والوحدات الصغرى داخل النص، وهو يجمع في قوانينه بين قواعد النحو التقليدي (نحو الجملة)، والقواعد الحديثة لدراسة النصوص، وقد نشأ نحو النص في إطار الدراسات اللسانية الحديثة التي ركّزت على الانتقال في البحث من الجملة إلى مستوى أوسع يمثل العلاقات بين الجمل في إطار النص.

---

[٢١] ظ: إبراهيم محمود ،في اللسانيات ونحو النص : ٢١٣-٢١٤.

[٢٢] الجرجاني , دلائل الإعجاز : ٧٣.

[٢٣] ظ: أشرف عبد البديع , الدرس النحويُّ النصيُّ في كتب إعجاز القرآن الكريم , مكتبة الآداب, القاهرة , ٢٠٠٨م: ١٥٣-١٥٤.

[٢٤] ظ: صبحي إ براهيم الف قي , ع لم الل غة الن صي بين النظر ية والتطب يق، الطب عة الأولى، دار ق باء , القاهرة, ٢٠٠٠م : ٢/٢٥١.

وقد تبيَّنتْ الصلة بين نحو النص والبلاغة العربية القديمة؛ إذ درس القدماء في إطارها النصوص دراسة تحليلية تعتمد على بيان العلاقات بين مكوِّنات النص ، ودراسة الخصائص الجمالية والتعبيرية فيه الناتجة من فرادة التركيب وتميزه ؛ لذا يمكن القول بأنَّ الممارسات التحليلية لعلماء العربية في إطار علم المعاني وما يتصل به من تحليلات بلاغية وتفسيرية تمثل النواة الأولى لنحو النص في التراث العربي ؛فمباحث الفصل ، والوصل ، والخبر ، والإنشاء، والإحالة، ورعاية الموقف هي مباحث مشتركة بين العلمين: قديما، وحديثا.

قد اتضحتْ أهمية ما قدَّمه الشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) من مباحث نظرية النظم وما يتصل بها؛ إذ وُجِدتْ فيها التطبيقات العمليّة لما يعرف اليوم بالتماسك النصّي، وهو الظاهرة الأبرز التي تبحث عنها الدراسات النصية الحديثة.

المصادر والمراجع

١- إبراهيم محمود خليل(الدكتور). في اللسانيات ونحو النص، الطبعة الثانية، دار المسيرة، عمان،٢٠٠٩م.

٢- أحمد عفيفي(الدكتور). نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.

٣- أشرف عبد البديع(الدكتور). الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، د.ط، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٤- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن(ت٤٧١هـ). دلائل الإعجاز، صحَّح أصله: محمد عبده، علَّق حواشيه: محمد رشيد رضا ،د.ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان ، ١٩٧٨م.

٥- زتسيسلاف واورزنياك. *مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص)، ترجمة د.سعيد حسن بحيري ،الطبعة الأولى، مؤسسة المختار ،القاهرة ، ٢٠٠٣م .*

٦- سعيد حسن بحيري(الدكتور). علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الطبعة الأولى، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٧- سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان ت(١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

٨- صبحي إبراهيم الفقي(الدكتور). علم اللغة النصيّ بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، الطبعة الأولى، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٩- عمر أبو خرمة (الدكتور). نحو النص (نقد النظرية وبناء أخرى)، الطبعة الأولى، عالم الكتب الحديث، الأردن،٢٠٠٤م.

١٠- محمد حسين علي الصغير(الدكتور). علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي في ضوء القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار المؤرِّخ العربيّ ، بيروت ،لبنان ،١٩٩٩م.

١١- محمد خطابي (الدكتور). لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) ، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت،١٩٩١م .

١٢- مصطفى جمال الدين(الدكتور).
البحث النحوي عند الأصوليين، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٠.

١٣- نعمان بوقرّة (الدكتور). المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، د. ط، عالم الكتب الحديث، عمان، ٢٠٠٩م.

..... ❖❖❖❖❖ .....